تقدير موقف

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

الصراع على النظام الإقليمي
سيناريوهات التصعيد والمواجهة بين إيران وإسرائيل

د. أحمد عدنان الميالي

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

الصراع على النظام الإقليمي: سيناريوهات التصعيد والمواجهة بين إيران وإسرائيل

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط/ قسم الابحاث/ الدراسات السياسية

الاصدار / تقدير موقف

الموضوع / شؤون إقليمية ودولية

د. أحمد عدنان الميالي / أستاذ العلوم السياسية / جامعة بغداد

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

مدخل:

يشهد النظام الإقليمي في منطقة الشرق الاوسط تنافساً مباشراً ومعقداً بين عدة أطراف، وهي إيران، تركيا، المملكة العربية السعودية، مصر، والكيان الإسرائيلي، بسبب التشابك والتقاطع والتداخل في الخلفيات البنيوية والمصالح الجيوسياسية، والاختلاف في التوجهات القومية الإسلامية والحضارية، وشهد هذا النظام بعد ٧ اكتوبر ٢٠٢٣، بروزا واضحاً في تحول التنافس إلى صراع، وتحديداً بين إيران والكيان الإسرائيلي، خاصة بعد التراجع المحوري للمنظومة العربية في النظام الإقليمي إزاء الحرب في غزة ولبنان، ومحدودية الدور التركي في الحرب وتذبذب مواقفها الإقليمية، مع صمت الفواعل الكبرى روسيا والصين، فإن بروز الصراع والتنافس بين إيران والكيان هو الأوضح في النظام الإقليمي، وتصاعدت خيارات ومسارات المواجهة من الحرب بالوكالة إلى المواجهة المباشرة، في تغير دراماتيكي في سلوكيات الصراع بين العدوين لم تحصل إطلاقاً منذ التأسيس المصطنع للكيان الإسرائيلي في المنطقة عام ١٩٤٨م.

في ضوء تطور الأحداث، لايمكن فصل مايجري في غزة ولبنان من تداعيات وأحداث عن معطيات تصور هذا الصراع، ومع حتمية التصعيد والرد الإسرائيلي المرتقب فإن مستقبل النظام الإقليمي سيرتبط بشكل مؤكد، بطبيعة سيناريوهات المواجهة بين الطرفين، وسينعكس على مجريات الحرب الدائرة حالياً في الإقليم.

أولاً: تداعيات الهجوم الإيراني على الكيان الإسرائيلي

أطلقت طهران اسم "الوعد الصادق٢" على ردها الصاروخي الذي استهدفت فيه مواقع عسكرية إسرائيلية في اليوم الأول من اكتوبر الجاري، وذلك رداً على اغتيال إسماعيل هنية وحسن نصر الله وعباس نيلفورشان نائب قائد العلميات في الحرس الثوري الإيراني في الضاحية الجنوبية في لبنان يوم ٢٧-٩ الماضي، بالمقابل أعلن الكيان الإسرائيلي أنه سيرد بشكل قوي على إيران.

عملية الرد الإيراني كانت مفاجئة ومؤثرة، رغم عدم اعتراف الكيان بذلك، اذ لم تتوقع إسرائيل أن يكون هنالك رداً على اغتيال هنية ونصر الله و نيلفورشان، بعد أن هدد نتنياهو أثناء كلمته في الجمعية العامة للأمم المتحدة إيران، قائلاً: "اذا ما هاجمت إسرائيل، فإن الرد عليها سيكون قاسياً ومؤثراً".

مع ذلك، أطلقت إيران ١٨١ صاروخاً باليستياً استطاعت اختراق منظومة الدفاعات الجوية الإسرائيلية رغم تصديها للبعض منها، واعترف الجيش الإسرائيلي بسقوط هذه الصواريخ على قواعد عسكرية جوية، منها نفاتيم وتل نوف، وقاعدة في منطقة مجيدو قرب جنين، ومنها سقط قرب مقر الموساد في تل أبيب مما تسبب في أضرار يتلك القواعد، ولم تعلن إسرائيل نسبة اعتراض هذه الصواريخ ونسبة الأخرى التي اخترقت منظوماتها الدفاعية، وهذا مؤشر على وجود اختراق حقيقي يُحسب لإيران في هذا الهجوم، مما يساعدها في موقفها الاستراتيجي وتزايد هجماتها المقبلة، واكتفى نتنياهو والجيش بالتصريح أن هذا الهجوم قد تم إفشاله.

في الحقيقة، يعد الهجوم الإيراني على الداخل الإسرائيلي مختلفاً والأعنف منذ تأسيس الكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٨، ويتجاوز تأثيره كل المواجهات التصعيدية الماضية، فاستخدام صواريخ باليستية فرط صوتية لم تمنح انذاراً قبل سقوطها في الأراضي المحتلة، مما أثر على جهوزية الدفاعات الجوية الإسرائيلية وخططها العملياتية، وهذا هو أخطر ماتواجهه الآن إسرائيل، لأنها بصدد إعادة تقييم لهذه الجهوزية، وعليها معالجة فاعلية المنظومة الدفاعية تحسباً لأي هجوم قوي وسريع يخترق جدار هذه الدفاعات مجدداً ويستهدف منشآتها الحيوية.

ثانياً: حتمية الرد الإسرائيلي على إيران

مثل الهجوم الإيراني الأخير اختراقاً كبيراً لطبيعة الصراع والمواجهة مع الكيان الإسرائيلي، هذا الاختراق، بغض النظر عن مستوى الأضرار الذي اوقعه، يدفع إسرائيل للرد على إيران وهنالك إجماع عسكري وسياسي كبير يشمل حتى المعارضة التي تدعم الآن خيار الرد غير الاعتيادي على الهجوم الإيراني، وقد صرح المتحدث بأسم الجيش الإسرائيلي، دانيال هاغاري: "ستكون هناك تداعيات للهجوم الإيراني، والجيش يمتلك خططاً جاهزة للهجوم" في حين قال نتنياهو: "إن إيران ارتكبت خطأ بهجومها على إسرائيل، وستدفع ثمن ذلك"، أما رئيس هيئة الأركان: هرتسي هليفي فأكد :" أن الجيش سيرد على الهجوم الإيراني، وسنُحدد موعد الرد وسنثبت قدرتنا الهجومية الدقيقة والمفاجئة".

إن التأكيد على الرد الإسرائيلي له دلالات مرتبطة مع سياق الحرب الإسرائيلية على غزة وجنوب لبنان، إذ يبدو أن نتنياهو يريد توسيع دائرة الحرب وهو ينتظر هذه الفرصة لاستهداف إيران، وهدفه الأساس في الصراع الإقليمي في المنطقة لاينحصر بحماس أو حزب الله،

بل محور المقاومة برمته ومن يقوده، فضلاً عن مخاوفه المرتبطة بالبرنامج النووي الإيراني الذي تعمل إسرائيل على تفكيكه بأي طريقة كانت، يمثل الهجوم الإيراني هذه الفرصة، ولذلك هنالك من يذهب باتجاه أن الرد لن يكون رمزياً كما حصل في نيسان الماضي، بل ستوجه تل أبيب ضربات موجعة إلى النظام الإيراني مستغلة ذروة الثقة بالنفس حالياً ومعتمدة على دعم الولايات المتحدة المفتوح لها، التي تؤيد الرد الإسرائيلي وتدعم حالياً خيار استمرار العمليات في غزة ولبنان واليمن وسوريا رغم أنها تختلف مع الكيان في طبيعة هذا الرد.

إذ شدد الرئيس بايدن معارضته لاستهداف المواقع النووية والنفطية في إيران، وأن واشنطن ودول مجموعة السبع ستفرض عقوبات اقتصادية قصوى عيها. وتنطلق رؤية الإدارة الأمريكية من أن الرد المتوازن والمحدود لإسرائيل سيعطي إيران قدراً لازماً على استيعاب الهجوم الإسرائيلي وعدم الانزلاق إلى حرب ومواجهة إقليمية شاملة قد تدفع واشنطن وحلفاءها في المنطقة ودول الخليج المشاركة فيها، وضرب الاستقرار الإقليمي والمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

ثالثاً: سيناريوهات الرد الإسرائيلي على إيران

تبرز هنالك ثلاثة مشاهد أو سيناريوهات للرد الإسرائيلي على الهجوم الإيراني:

السيناريو الأول: تقوم إسرائيل بشن هجوم جوي مباشر على إيران وبشكل علني، تستهدف فيه منشآت حيوية وقواعد عسكرية ومنصات ومعامل ومخازن ترتبط بالصواريخ الباليستية، ومقرات للحرس الثوري الإيراني، واستهداف البنية الاقتصادية والزراعية في البلاد كالحقول والمصافي والموانئ المهمة ومحطات الكهرباء والماء، بمعنى أن الرد شامل ومؤثر ومباغت.

تؤكد فرضيات هذا السيناريو مجموعة من العوامل، منها رد الاعتبار على فعالية الهجوم الإيراني الباليستي، يجب أن يتجاوز رسائل التحذير إلى تعطيل القدرات الإيرانية بشكل يضمن عدم قيامها بالهجوم أو الرد مرة أخرى، بمعنى أن الرد يجب أن يكون أشد من الهجوم، بما يضمن تفعيل منظومة الردع الإسرائيلية، بشكل يؤكد أن أي هجوم أو رد إيراني سيقابل باشد وأقوى منه، ولن يكون متساوياً معه، ويعزز ذلك أيضاً أن الكيان الإسرائيلي مستمر بعملياته العسكرية في الجبهة الشمالية وداخل الأراضي المحتلة، وأن هناك تسامحاً امريكياً وغربياً للاستمرار تحت مبرر الدفاع عن النفس، وهي مرحلة انتقل إليها الكيان في استعادة قدرة الردع،

فالرد المماثل أو الرد بأقل على الهجوم الإيراني يضعف قدرة الردع الإسرائيلية ويقوض نجاح عملياتها في غزة وجنوب لبنان واليمن، كما أنه يعزز خطة نتنياهو الاستراتيجية المتفقة مع الرؤية الأمريكية المتمثلة في تغيير خارطة الشرق الأوسط التي تستلزم القضاء على محور المقاومة، وإخضاع إيران ومواجهتها بحزم وقوة، بشكل يظهر الكيان كقوة إقليمية فاعلة لاتنافسها إيران على الهيمنة أو التأثير في النظام الإقليمي.

بالإضافة إلى ذلك، إن مثل هذا الهجوم يعد فرصة للكيان الإسرائيلي لتدمير الكثير من المنشآت الاستراتيجية الفاعلة في إيران، وإضعاف قدرات النظام ومعه محور المقاومة في البلدان التي له نفوذ فيها، باعتبار أن إيران في هجومها على الكيان لاتستند إلى ذريعة قانونية أو شرعية، كما كان في ردها في نيسان الماضي بعد استهداف القنصلية الإيرانية في دمشق، فالكيان والمجتمع الدولي المتحالف معه يعتبران أن هناك غطاءً شرعياً للرد على إيران، لأن الهجوم الإيراني الأخير يعد إعلان حرب على إسرائيل دون مبرر قانوني، فتل أبيب لم تتبنى رسمياً اغتيال إسماعيل هنيّة في طهران، ما يجعلها تشرعن الهجوم الإيراني على أنه عمل عدائي وإعلان حالة حرب يستوجب رداً قوياً ومباشراً لا يقاس بمستوى الهجوم الإيراني، باعتباره دفاعاً عن النفس.

أما معوقات تأكيد هذا الاحتمال فتندرج في الممانعة الامريكية، رغم أنها تساند تل أبيب وتدعمها، وتعهدت بحماية إسرائيل من أي هجوم إيراني. لكنها تعارض قيام إسرائيل بشن مثل هكذا هجوم على إيران من حيث المبدأ، وهذا يعني أن إسرائيل غير قادرة على تنفيذ هذا الهجوم الكبير على إيران، ما لم تعتمد على القوات الجوية الأمريكية لتعزيز ومساندة دفاعاتها الجوية في التصدي لأي رد أو هجوم إيراني قد تبادر له طهران رداً على هجومها المباشر، إن التحفظ الامريكي ينطلق من أن أي هجوم إسرائيلي غير متوازن سيدفع إلى حالة التصعيد واتساع نطاق الحرب، بما يضر بمصالحها ومصالح حلفائها في المنطقة بما فيها دول الخليج التي لاترغب في أن تنزلق الحرب إلى مواجهة إقليمية واسعة.

يضاف إلى ذلك ان إيران قادرة على استيعاب هذه الضربات والرد على الكيان بشكل جدي بهجوم أكثر قوة، مستهدفةً مستوطنات سكنية إسرائيلية، بشكل يقوض الدعم الداخلي للهجوم المباشر على إيران، التي استطاعت في الأول من اكتوبر تجاوز الدفاعات الجوية الإسرائيلية والأمريكية، التي لم تستطع منع سقوط عشرات الصواريخ على قواعد ومواقع عسكرية إسرائيلية، خاصةً أن رداً إيرانياً قوياً على مساحة إسرائيل الصغيرة يعني أن حجم التدمير لهذا الرد سيكون مكلفاً بشرياً واقتصادياً.

السيناريو الثاني: هجوم جوي محدود مماثل للهجوم الإيراني، يستهدف قواعد ومنشآت عسكرية فقط.

تستند فرضيات تأكيد هذا السيناريو ينطلق من الرؤية الأمريكية التي تدعم مثل هذا الرد المتوازن، مع الهجوم الإيراني، تكون الغاية منه: الحفاظ على هيبة وسمعة إسرائيل التي تضررت بعد الهجوم الإيراني الأخير، ومنع الذهاب إلى حرب إقليمية شاملة في حال تحقق السيناريو الأول، وإغلاق حالة المواجهة والمنافسة عند هذه الحدود، وإعادة تركيز العمليات الإسرائيلية في الحدود الشمالية للأراضي المحتلة؛ باعتبار أن القضاء على حماس وحزب الله كفيل بإضعاف تدريجي لإيران، ثم توسيع نطاق العمليات الإسرائيلية على الحوثيين في اليمن وفصائل المقاومة في العراق المرتبطة بإيران، ما يدفع الأخيرة إلى التراجع والذهاب باتجاه التفاوض مع الغرب والقبول بمسارات التهدئة واستئناف عمليات التطبيع العربي الإسرائيلي، هذا السيناريو معقد وطويل لكنه الافضل وفقاً للمصالح الأمريكية والغربية وحلفاء العرب ويعد هدفاً منشوداً منذ سنوات، والدخول في مسارات المشهد الأول سينسف هذا الخيار التدريجي لإضعاف إيران، فإذا كانت مسارات المشهد الثاني الحاصلة حالياً تتضمن الاستنزاف للكيان وقواته بعد محاولات التوغل في جنوب لبنان، فكيف الحال مع حرب شاملة؟ إذ باتت هذه المقاربة معقدة، وقد تستدعي رفع حالة الطوارئ الدائمة داخل الكيان كلما تعمقت عملية التوغل البري وطالت الحرب، ما يعني استنزافاً للقدرات الإسرائيلية التي ستعيد النظر بهذا الخيار أساساً، فكيف بالخيار الأول؟

أيضاً، مايعزز الرد التقليدي وفق مسارات هذا السيناريو هو أن إيران، في أي رد أو هجوم قادم، ستلتزم بعدم استهدافها مواقع مدنية، إذا ما اقتصر الهجوم الإسرائيلي على مواقع وقواعد عسكرية فقط.

إن الرد غير المتوازن والتصعيدي سيظهر الكيان الإسرائيلي بمظهر المعتدي الساعي إلى إشعال حرب إقليمية تُورط فيها دول المنطقة والمجتمع الدولي، وستهتز شرعية إسرائيل أمام حلفائها بشكل أكبر، خاصة أن إيران تحرص دائماً على إخبار جهات دولية بهجومها المحدود، ولاتريد التصعيد وتجاوز قواعد القانون الدولي الإنساني.

كما يعزز هذا السيناريو أن إسرائيل، من خلال القبول بالمقاربة الأمريكية، ستشترط تشديد نظام العقوبات الاقتصادية وسياسة الضغوط القصوى الصارمة التي طالما طالبت بها تل أبيب من واشنطن والقوى الكبرى، وهو أمر يعمل على تقويض القدرات والنفوذ الإيراني في المنطقة بما يتفق مع الاستراتيجية التقليدية في مواجهة إيران إقليمياً.

عوائق وتحديات حصول هذا السيناريو، تتمثل في إظهار ضعف منظومة الردع الاستراتيجي لتل ابيب، وتعزيز هذه القدرة لإيران ومحور المقاومة، مايجعلها تبدو وكأنها خائفة ومترددة من إيران، وهو أمر لا تريده إسرائيل ويتقاطع مع منظومتها الدفاعية والأمنية القوية التي تشكل عنصر ردع وتهديد للآخرين، وليس العكس. وهذا مكلف جداً في سياق التنافس الإقليمي مع إيران، وهو أمر خطير على مستقبل الكيان ويشجع إيران لتكرار هجماتها.

السيناريو الثالث: رد رمزي محدود، مشابه للرد الإسرائيلي في نيسان الماضي، وهو يعبر عن رد شكلي على غرار رمزية الهجوم الإيراني في حينها.

فرضيات تأكيد هذا السيناريو تعتمد على أن الأضرار التي يخلفها أي رد إيراني محتمل ستكون محدودة، ولن يترك وراءه ضحايا بين المدنيين. لذلك، سترد إسرائيل وفق ذلك عبر استهداف مواقع محددة وبسيطة.

كما ينطلق هذا المشهد من وجود تخوف إسرائيلي من رد فعل إيراني تصعيدي اذا ذهبت تل أبيب للسيناريو الأول أو الثاني، وهي الآن بأمس الحاجة للتفرغ لغزة ولبنان واليمن، والتي يعني تحقيق انتصار واختراق فيها، انتصاراً على إيران وإضعاف المحور الذي تقوده تدريجياً.

كما أن هذا السيناريو يتوافق مع دائرة المواجهة المفترضة، وفقاً للتراجع الذي يُهدد الاقتصاد الإسرائيلي الذي يُواجه حالة من الانكماش والتأزم حالياً، اذ تواجه تل أبيب معالم أزمة اقتصادية وتراجع التصنيف الائتماني للشركات الإسرائيلية، فضلاً عن هروب الشركات الاستثمارية ورؤوس الأموال الأجنبية من إسرائيل بسبب الحرب، فالتصعيد والاستمرار بالحرب والمواجهة يزيد من تكاليف الموازنة، ولن تستطيع الخزينة تحملها مع ارتفاع العجز المالي وتراجع النمو الاقتصادي. لذلك، فإن الميل نحو التهدئة مع إيران، والابقاء في سياق الحرب على غزة ولبنان هو المشهد الاكثر ترجيحاً للحصول، حتى هذا المشهد الأخير الذي استمر لأكثر من عام لم يحقق أهدافه الأساسية بالقضاء على حماس ولا حزب الله، فكيف إذا حصلت المواجهة المفتوحة مع إيران وتداعيات ذلك الإقليمية.

يواجه هذا المشهد تحديات ومعوقات كثيرة، أهمها: انهيار منظومة الردع الإسرائيلية بصورة كبيرة، وتعزيز النفوذ الإيراني في المنطقة، وتراجع السمعة العسكرية لتل أبيب كقوة إقليمية ضاربة في الشرق الأوسط.

أيضاً، تعارض القوى السياسية في إسرائيل لهذا الخيار، ومنها قوى اليسار، وستستغله في إضعاف حكومة نتنياهو والمطالبة بسحب الثقة منها والتنديد بها إعلامياً، وسيؤدي ذلك إلى خسارة كل الفعاليات التي راهن عليها نتنياهو في رد الاعتبار الإسرائيلي على عملية "طوفإن الأقصى" وسيضعف موقف حكومة اليمين والليكود في الحرب على غزة والحدود الشمالية.

استنتاجات:

يشهد النظام الإقليمي لمنطقة الشرق الاوسط تحولات مركبة من التنافس إلى الصراع، ومن التأثير المتعدد إلى التأثير الثنائي بين إيران والكيان الإسرائيلي، بسبب مجريات الحرب في غزة ولبنان، ودخول خط الصراع من حرب الوكالة إلى الحرب المحدودة المباشرة حالياً بين إيران ومحور المقاومة الذي تقوده والكيان الإسرائيلي.

ستكون معطيات الهجوم الإيراني الأخير على إسرائيل وسيناريوهات الرد الإسرائيلي على إيران، لهاةدور فعال في تحديد مسارات الصراع على النظام الإقليمي، ومن سيكون له الغلبة في التحكم بمبانيه، فالذهاب إلى ترجيح حصول السيناريو التصعيدي الاول يعني أن المنطقة ستذهب إلى حرب مفتوحة وواسعة، يكون فيها الغالب هو المسيطر على مباني النظام الإقليمي، أما السيناريو الثاني فيعني ان استمرار حالة المواجهة الثنائية المتوازنة ستعطي فرصة للتهدئة واستمرار طبيعة الصراع على النظام الحالي بين الطرفين، مع عودة تدريجية للفواعل الإقليمية الأخرى، هو المشهد السائد في المنظور القريب.

أما فرضيات السيناريو الثالث، فإن حصوله يعني أن هناك تراجعاً إسرائيلياً يتيح مرة أخرى بشكل تدريجي إلى التهدئة، وبروز أقطاب النظام: تركيا، السعودية، ومصر، ودخول هذه الدول لمنظومة التنافس وتراجع سلوكيات الصراع والتصعيد المباشر.

من المؤكد أن إسرائيل، في ضوء هذه السيناريوهات الثلاثة، سترد على إيران وفقاً للفرضيات المؤكدة للسيناريو الأول مع وجود تحفظات وعوائق في تقليص جزئي لطبيعة الاهداف، وهو السيناريو الأقرب للواقع وفقاً للمعطيات الجارية حالياً والتصريحات الإسرائيلية والترقب الإيراني وتصعيد مستوى الاستعداد والتأهب، فمن المتوقع جداً أن يكون الهجوم الإسرائيلي على إيران واسعاً وغير محدود ليشمل منشآت عسكرية واستراتيجية إيرانية مهمة، لكن لن يمتد للأهداف المدنية والنفطية والنووية، اذ سيستثنى البرنامج النووي الإيراني بشكل مباشر مع امكانية ضرب بنيته التحتية واغتيال علمائه من أجل إضعاف إيران ومحور المقاومة، مستندة بذلك على الدعم الامريكي،

ستعمل قدرات سلاح الجو التي تمتلكها على ردع إيران عن الرد على الهجوم المرتقب، واستيعابه بشكل يوحي بأنه متوازن مع الهجوم الأول من أكتوبر أو الاستعداد لرد إيراني محتمل، قادرة تل أبيب هذه المرة على تقليل أضراره أو التصدي له، هذا الترجيح سيعني الإبقاء على حالة التنافس على النظام الإقليمي بين الطرفين في الحدود المرسومة، لكن ليس كما كان قبل السابع من أكتوبر من العام ٢٠٢٣، بل تكرار سيناريوهات التصعيد والمواجهة والحرب سيكون حاضراً بشكل متواصل، مايعني أن ملامح عدم الاستقرار الإقليمي للنظام هو الارجح وقوعاً مع بقاء الفواعل الإقليمية الأخرى في حالة ترقب أو تدخل محدود لايتجاوز مستوى التحرك السياسي أو الدبلوماسي أو الإعلامي أو الإنساني.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org